مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية محكمة (معتمدة) شهرية

يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط

السنة السابعة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

العدد السابع والستون (سبتمبر ٢٠٢١)

الترقيم الدولي: (2536-9504)

الترقيم على الإنترنت: (2735-5233)

لا يسمح إطلاقا بترجمة هذه الدورية إلى أية لغة أخرى، أو إعادة إنتاج أو طبع أو نقل أو تخزين أي جزء منها على أية أنظمة استرجاع بأي شكل أو وسيلة، سواء إلكترونية أو ميكانيكية أو مغناطيسية، أو غيرها من الوسائل، دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من مركز بحوث الشرق الأوسط.

All rights reserved. This Periodical is protected by copyright. No part of it may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without written permission from The Middle East Research Center.

الأراء الواردة داخل المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها وليست مسئولية مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية : ٢٤٣٣٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: (Issn :2536 - 9504)

الترقيم على الإنترنت: (Online Issn :2735 - 5233)

مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية مُحكَّمة

متخصصة

في شئون الشرق الأوسط

مجلة مُعتمَدة من بنك المعرفة المصري

موقع المجلة على بنك المعرفة المصري

www.mercj.journals.ekb.eg

- معتمدة من الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية (*ARCI*) . المتوافقة مع قاعدة بيانات كلاريفيت *Clarivate* الفرنسية.
- معتمدة من مؤسسة أرسيف (*ARCIf*) للاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية ومعامل التأثير المتوافقة مع المعايير العالمية.
- تنشر الأعداد تباعًا على موقع دار المنظومة.

العدد السابع والستون- سبتمبر ٢٠٢١

تصدر شهريًّا

السنة السابعة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

المطبعة | مطبعة جامعة عين شمس
Ain Shams University Press

مجلة بحوث الشرق الأوسط (مجلة مُعتمدة)
دوريَّة علميَّة مُحكَّمَة (اثنا عشر عددًا سنويًّا)
يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رئيس مجلس الإدارة
الأستاذ الدكتور / هشام تمراز
نائب رئيس الجامعة لشئون المجتمع وتنمية البيئة
ورئيس مجلس إدارة المركز

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور / أشرف مؤنس
مدير مركز بحوث الشرق الأوسط
والدراسات المستقبلية

هيئة التحرير

أ.د. محمد عبد الوهاب (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. حمدنا الله مصطفى (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. طارق منصور (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. محمد عبدالسلام (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق (جامعة القاهرة - مصر)
أ.د. أحمد عبد العال سليم (جامعة حلوان - مصر)
أ.د. سلامة العطار (جامعة عين شمس - مصر)
لواء د. هشام الحلبي (أكاديمية ناصر العسكرية العليا - مصر)
أ.د. محمد يوسف القريشي (جامعة تكريت - العراق)
أ.د. عامر جادالله أبو جبلة (جامعة مؤتة - الأردن)
أ.د. نبيلة عبد الشكور حساني (جامعة الجزائر٢ - الجزائر)

إشراف إداري
عبير عبدالمنعم
أمين المركز

سكرتارية التحرير
نهى نوار رئيس وحدة البحوث العلمية
ناهد مبارز رئيس وحدة النشر
رانيا نوار وحدة النشر
زينب أحمد وحدة النشر

المحرر الفني
ياسر عبد العزيز
رئيس وحدة الدعم الفني

تنفيذ الغلاف والتجهيز والإخراج الفني
وحدة الدعم الفني

تدقيق ومراجعة لغوية
د. تامر سعد محمود

تصميم الغلاف أ.د. وائل القاضي

توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: أ.د. أشرف مؤنس، رئيس التحرير
البريد الإلكتروني للمجلة: Email: middle-east2017@hotmail.com

- وسائل التواصل:

جامعة عين شمس- شارع الخليفة المأمون- العباسية- القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص.ب: 11566
تليفون: 24662703 (202+) فاكس: 24854139 (202+) (موقع المجلة موبايل/واتساب): 01098805129(2+)

ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: www.mercj.journals.ekb.eg
ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر

مجلة بحوث الشرق الأوسط

- رئيس التحرير أ.د. أشرف مؤنس

- الهيئة الاستشارية المصرية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الأسكندرية - مصر
- أ.د. أحمد الشربيني عميد كلية الآداب السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أحمد رجب محمد علي رزق عميد كلية الآثار - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. السيد فليفل عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. إيمان محمد عبد المنعم عامر رئيس قسم التاريخ السابق - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أيمن فؤاد سيد رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مصر
- أ.د. جمال شفيق أحمد محمد عامر كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حمدي عبد الرحمن كلية الحقوق - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حنان كامل متولي وكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. صالح حسن المسلوت رئيس قسم التاريخ والحضارة الأسبق - كلية اللغة العربية
  فرع الزقازيق - جامعة الأزهر – مصر
  وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة
- أ.د. عادل عبد الحافظ عثمان حمزة كلية الآداب - جامعة المنيا،
  ومقرر لجنة الترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات - مصر
- أ.د. عاصم الدسوقي عميد كلية الآداب الأسبق - جامعة حلوان - مصر
- أ.د. عبد الحميد شلبي كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د. عفاف سيد صبره كلية الدراسات الإنسانية بنات بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د.عفيفي محمود إبراهيم عبدالله كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
- أ.د. فتحي الشرقاوي كلية الآداب - نائب رئيس جامعة عين شمس السابق - مصر
- أ.د. محمد الخزامي محمد عزيز عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة الجلالة - مصر
- أ.د. محمد السعيد أحمد كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- لواء/ محمد عبد المقصود رئيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء - مصر
- أ.د. محمد مؤنس عوض كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان
  قطاع الخدمة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للجامعات ورئيس لجنة ترقية الأساتذة
- أ.د. مصطفى محمد البغدادي كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. نبيل السيد الطوخي كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر
- أ.د. نهى عثمان عبد اللطيف عزمي كلية السياحة والفنادق - جامعة مدينة السادات - مصر

- الهيئة الاستشارية العربية والدولية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم خليل العَلاّف — جامعة الموصل- العراق
- أ.د. إبراهيم محمد بن حمد المزيني — كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية
- أ.د. أحمد الحسو — جامعة مؤتة- الأردن
  مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية - إنجلترا
- أ.د. أحمد عمر الزيلعي — جامعة الملك سعود- السعودية
  الأمين العام لجمعية التاريخ والآثار التاريخية
- أ.د. عبد الله حميد العتابي — كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - العراق
- أ.د. عبد الله سعيد الغامدي — جامعة أم القرى - السعودية
  عضو مجلس كلية التاريخ، ومركز تحقيق التراث بمعهد المخطوطات
- أ.د. فيصل عبد الله الكندري — جامعة الكويت- الكويت
- أ.د. مجدي فارح — رئيس قسم الماجستير والدراسات العليا - جامعة تونس١ - تونس
- أ.د. محمد بهجت قبيسي — جامعة حلب- سوريا
- أ.د. محمود صالح الكروي — كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد- العراق

- *Prof. Dr. Albrecht Fuess* — Center for near and Middle Eastem Studies, University of Marburg, Germany
- *Prof. Dr. Andrew J. Smyth* — Southern Connecticut State University, USA
- *Prof. Dr. Graham Loud* — University Of Leeds, UK
- *Prof. Dr. Jeanne Dubino* — Appalachian State University, North Carolina, USA
- *Prof. Dr. Thomas Asbridge* — Queen Mary University of London, UK
- *Prof. Ulrike Freitag* — Institute of Islamic Studies, Belil Frie University, Germany

محتويات العدد ٦٧

عنـوان البحـــث	الصفحـــة
• **الدراسات التاريخية:**	
١- **مؤرخـــان مارونيـــان لصـــلاح الـــدين الأيـــوبي (١١٣٨-١١٩٣م)**	
فيليـب حتـى وأمـين معلـوف «دراسـة مقارنـة».....	٣ – ٢٦
أ.د. محمد مؤنس عوض	
٢- **حركة حماس وموقفها من المشروع الوطني الفلسطيني**	٢٧ – ٥٦
الباحث/ رزق موسى الزعانين	
٣- **موقـــف الـــدول الكبـــرى مـــن اســـتقلال شـــبه القـــارة الهنديـــة عـــام١٩٤٧**	٥٧ – ٨٤
أ.م.د. نزار كريم جواد	
أ.م.د. عصام عبد الغفور عبد الرزاق	
٤- **السياسة الخارجية.. المنطلقات الفكرية والتطبيقات العملية**	٨٥ – ١١٨
د.علاء فاهم كامل	
• **الدراسات الاقتصادية:**	
٥- **دور الكتلـــة البيئيـــة الحرجـــة فـــي تضـــمين قواعـــد الاقتصـــاد الـــدائري فـــي المؤسســـات الحكوميـــة**	١٢١ – ١٩٨
د. عمرو صالح محمد	
٦- **إمكانيـــة اســـتفادة مصـــر مـــن تجربـــة البنـــوك الماليزيـــة فـــي دعـــم التنميـــة الاقتصـــادية فـــي ظـــل مقـــررات بـــازل ٣ «دراســـة مقارنـــة»**.....	١٩٩ – ٢٥٦
الباحث/ محمد السعيد علي جويلي	

تابع محتويات العدد ٦٧

عنـوان البحـــث الصفحـــة

- **الدراسات القانونية:**

٧- السياســة الجنائيــة فــي مواجهــة جــرائم تزييــف العملــة «دراســـــة مقارنـــــة» ..... ٢٥٩ - ٢٩٦

د. عيد نصرالله سعد سيد حريرة

٨- عـدم جـواز الجمـع بـين العضـوية البرلمانيـة والوظيفـة العامـة فـي مـصـر والإمـارات «دراسـة مقارنـة» ... ٢٩٧ - ٣١٦

د. سعيد علي سعيد حميد الخييلي

- **الدراسات الفلسفية:**

٩- الأبعـاد الفلسـفية للهجـرة دراسـة معاصـرة فـي جـدل الغربـة والحنـــين والإبـــداع ..... ٣١٩ - ٣٤٤

د. علي عبود المحمداوي

د. نهاوند علي محمد

١٠- حالـة اليهـود الفكريـة والثقافيـة فـي العصـر العباسـي .. ٣٤٥ - ٣٦٨

الباحث/ عصام وهب الله زهران عبد الرحمن

- **دراسات التربية الفنية:**

١١- آليـات اللاتجنـيس فـي المنتجـات الصـناعية ..... ٣٧١ - ٣٩٠

أ.د. هدى محمود عمر

م. أنيس حاتم مانع

١٢- سـلطة المنـتج الصـناعي وانعكاسـها علـى المتلقـي .... ٣٩١ - ٤١٠

م.م. عبد الحسين عبد الكريم سلمان

أ.م.د. صلاح نوري محمود الجيلاوي

تابع محتويات العدد ٦٧

عنـوان البحـــث	الصفحـــة
١٣- **جماليـات النحـت الإفريقـي القـديم وانعكاسـه فـي فخـار (التراكوتـــا Terracotta) المعاصـــر**	٤١١ - ٤٢٨
أ.د. أنغام سعدون طه	
م.م. عدنان ساطي علي	
١٤- **دلالات اللـون فـي القـرآن الكـريم وتمثلاتهـا فـي نتاجـات طلبـــة قســم التربيـــة الفنيـــة**	٤٢٩ - ٤٥٨
م.م. رؤيا إحسان رفعت	
١٥- **فاعليـــة اســتراتيجية الـــتعلم النشـــط الفعـــال علـــى تقيـــيم الأداء المهـــاري لمشـــاريع التخـــرج لطلبـــة قســـم التربيـــة الفنيـــــة**	٤٥٩ - ٤٨٤
أ.م.د. مها مازن كامل	
١٦- **الخطـاب الحضـاري فـي البنـى التصـميمية للفضـاءات الداخليـــــة المعاصـــــرة**	٤٨٥ - ٥٠٦
أ.م.د. علاء الدين كاظم الإمام	
١٧- **تمـثلات التحـوير فـي تكوينـات خـط الثلـث**	٥٠٧ - ٥٣٢
م.د. وسام كامل عبد الأمير	
١٨- **آلـة العـود فـي الآثـار والمخطـوطـات التـاريخيـة بيـن القـرنيـن الثامـن المـيـلادي والســادس عشــر الميـلادي** ..	٥٣٣ - ٥٦٢
م.د. أحمد جهاد البدر	
م.م. حيدر زامل حسين هاشم	

الأبعاد الفلسفية للهجرة

«دراسة معاصرة في جدل الغربة والحنين والإبداع»

د. علي عبود المحمداوي

أستاذ الفلسفة المعاصرة المساعد

كلية الآداب – جامعة بغداد

د. نهاوند علي محمد

مدرس الفلسفة المعاصرة

كلية الآداب – جامعة بغداد

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

هل للهجرة أي بعد أو أبعاد فلسفية؟ أم إنها مجرد قضية جغرافية، أو قانونية، أو اقتصادية، ولا دخل للفلسفة في أن تشارك في صنع واتخاذ موقف منها، أو محاولة دراستها؟

لاشك أن الفلسفة تحتم على المزاول لها (ببساطة أو حرفية) أن يتخذ موقفًا عقلانيًّا ونقديًّا من المجتمع والعالم والذات، ولهذه الدلالة انعكاس كبير على كل مجالات ومسارات حياتنا ومنعطفاتها، ومنها قضايا العلاقة بين الإنسان والعالم الخارجي بما فيه الوطن والمجتمع، ولذلك فالهجرة يمكن أن تحلل وتعالج فلسفيًّا من ثلاث زوايا هي:

أولًا– أسئلتها التي تثيرها على مستوى الفرد المهاجر.

ثانيًا– مشكلاتها التي تنبثق من نوايا الرحيل إلى بداية الحياة الجديدة في المهجر.

ثالثًا– فاعلية الهجرة ذاتها، وما تحمله من مقولات في الغربة والحنين والدوافع والدواعي والمعنى والإبداع ومرافقته لكل الأزمات التي قد تنتج عن المشكلات أو عدم الإجابة عن الأسئلة في النقطتين السابقتين كلها بحث عن الكينونة عن الانوجاد في عالم غريب.

إن الهجرة بحد ذاتها تحمل معنى السؤال، ذلك السؤال الذي يراد منه البحث عن المعنى، البحث عن معنى الذات للمهاجر، عن معنى الحياة، عن معنى المصير، تساؤلات تحكم مسار الهجرة الفلسفي، تأخذه تارة صوب الحنين وأخرى نحو التنقيب عن وسيلة للانوجاد في المهجر–الانوجاد الفعال– وعلى ما تقدم يتبين أن موضوع الهجرة يمكن أن يعالج فلسفيًّا لأنه في مكنونه يحمل تساؤلات فلسفية ومشكلات فلسفية، والمهاجر يمارس فاعليات فلسفية في مسيرته الترحالية.

Abstract:

Does philosophy have any philosophical dimensions? Is merely a geographic, legal, or economic issue with which philosophy is not engaged? Can philosophy study immigration or take a stance toward it?

Philosophy compels its practitioners, novice or professionals, to take a rational or critical stance toward society, the world, and the self. Such a stance should significantly influence different aspects of our lives including the relationship between man and his outside world, homeland, and society. Philosophy can handle this issue from three perspectives:

First, the problems raised on the migrant subject,

Second, the problems that emerge from the departure toward a new life in diaspora,

Third, the problem of immigration itself and its ramifications like alienation, nostalgia, motives, meaning, and creativity that accompany all these problems that result from not answering the question pertaining to the previous two problems. These questions look for answers on the existence in an alien world.

Immigration, in itself, has an answer to the question on the search for meaning, search for a meaning to the migrant subjectivity, meaning of life, and meaning of destination. These questions determine the philosophical dimension of immigration which focuses sometimes on nostalgia and sometimes on finding a way to effectively exist in diaspora. Immigration as a subject might be discussed as a philosophical issue. Migrants are engaged in philosophical practice during their journey.

المقدمة:

هل للهجرة أي بعد أو أبعاد فلسفية؟ أم إنها مجرد قضية جغرافية، أو قانونية، أو اقتصادية، ولا دخل للفلسفة في أن تشارك في صنع واتخاذ موقف منها، أو محاولة دراستها؟

لاشك أن الفلسفة تحتم على المزاول لها (ببساطة أو حرفية) أن يتخذ موقفًا عقلانيًا ونقديًا من المجتمع والعالم والذات، ولهذه الدلالة انعكاس كبير على كل مجالات ومسارات حياتنا ومنعطفاتها، ومنها قضايا العلاقة بين الإنسان والعالم الخارجي بما فيه الوطن والمجتمع، ولذلك فالهجرة يمكن أن تحلل وتعالج فلسفيًّا من ثلاث زوايا هي:

أولًا– أسئلتها التي تثيرها على مستوى الفرد المهاجر.

ثانيًا– مشكلاتها التي تنبثق من نوايا الرحيل إلى بداية الحياة الجديدة في المهجر.

ثالثًا– فاعلية الهجرة ذاتها، وما تحمله من مقولات في الغربة والحنين والدوافع والدواعي والمعنى والإبداع ومرافقته لكل الأزمات التي قد تنتج عن المشكلات أو عدم الإجابة عن الأسئلة في النقطتين السابقتين كلها بحث عن الكينونة عن الانوجاد في عالم غريب.

استنادًا الى ماسبق يتضح لنا دور الفلسفة في اتخاذ موقف من موضوع لايمكن اختزاله بأي بعد آخر دونما المرور بتساؤلات فلسفية. إنها السؤال عن المسوغ، والسؤال عن الممارسة، والسؤال عن المصير، والسؤال عن معنى كل ذلك.

١–حراثة مفاهيمية وتحليلية في الهجرة والتهجير:

تشكل مفاهيمنا قيد البحث أسسًا لفهم العلاقة المبتغى كشفها بين الهجرة كمؤثر والإبداع كنتيجة وسبب، وما ينطوي عليه ذلك من الغربة والحنين، ولا يمكننا الجزم بأن المعادلة ستبقى طردية كما نريد لها، فمن الممكن أن تنعكس لتصبح رد فعل عبر

الاغتراب والحنين المفرط الذي قد يجعل كل إمكانيات الإبداع تنهار ويمنعها من التحقق.

- **الهجرة [*] Migration:**

للهجرة مدلول واضح يتشكل في أبعاد المكان والإرادة والسفر، لذلك تعرف الهجرة بأنها: "دخول الناس إلى بلد آخر للاستقرار فيه"[١] وبكلمة أخرى هي خروج الناس أفرادًا أو مجموعات من بلدهم الأم إلى بلدان أخرى تشكل بديلًا لمفهوم الوطن[**] لديهم، والاعتراض الذي قد يرد هنا هو عدم تضمين صنف الهجرة الداخلية في التعريف، والحقيقة، إن الهجرة الداخلية ليست مفهومًا شاملا، ولا يرتبط بالدوافع نفسها التي تدفع إلى الهجرة الخارجية؛ إذ إن الداخلية غالبًا ما تكون نوعًا من الاغتراب من الفئات الاجتماعية في الوطن، أو محاولة في التعايش مع بيئة أصلح له أيكولوجيًّا أو دينيًّا أو ثقافيًّا، وهنا قد يكون اشتراك من طرف آخر بينها وبين الهجرة الخارجية لكن الأساس وهو مغادرة الوطن يبقى الفيصل في التمييز بينهما، وقد يرد إشكال آخر وهو بما يخص مفهوم الوطن، فقد تشير لفظة الوطن حتى إلى أدنى مستويات التجمع البشري والانتماء المكاني والاجتماعي، وهنا يكون مفهوم الهجرة قد خرج عن كونه عامًا أو له أية علاقة ببلد آخر.

لذلك فالمهاجرة: "هي عملية انتقال الناس وارتحالهم من موطنهم للاستقرار في بلد آخر"[٢]. وهنا لابد من الإشارة إلى ما ترتكن إليه الهجرة وتتأسس عليه مفهوميًّا، وأرى أن الأساس فيها هو:

أولًا– التبدل المكاني: الأساس المفهومي الأول الذي يشكل معنى الهجرة هو فكرة المكان؛ إذ إن هنالك تلازمًا بين المكان والارتحال، فلا ارتحال بلا مكان كان قارًّا فيه ليرتحل عنه بالمعنى العام. ولابد من أن يمثل الارتحال تبدلا من نوع جغرافي دولي، إلا إنه ليس تبدلا للمقر.

فقد عُرِّف المهاجر الدولي بأنه: أي شخص يغير بلد إقامته المعتادة، حيث

بلد الشخص هي البلد الذي يعيش فيه، أي البلد الذي له فيه مسكن يقضي فيه عادة فترة راحته اليومية، والسفر إلى الخارج للترويح أو لقضاء العطلات، أو للقيام بأعمال تجارية أو للعلاج الطبيعي، أو لزيارة الأماكن المقدسة، لا يستتبع تغيير بلد الإقامة[٣].

ثانيًا– معلومية المكانين، البدئي ومحط الهجرة: وأقصد في هذه النقطة أن الهجرة تفترض بداية معلومية مكان الارتحال وهو الوطن المقيم فيه أو الموطن الأصلي، إلى بلد آخر معلوم هو بالنتيجة وإلا لما كانت هجرة.

ثالثًا– الإرادة: الدعامة الثالثة لمفهوم الهجرة هي الإرادة؛ فالإرادة هي محرك الهجرة وركن من أركان بنيتها المفهومية والدلالية، فلا معنى للكلام عن الهجرة بلا إرادة، وإن أي غياب للإرادة في الفعل الهجري، سيحولها من هجرة إلى تهجير. إلا إن هنالك ميل للنظر إلى كل أنواع الهجرة بوصفها قسرية ولا إرادية، فالظروف هي التي دعت إلى الهجرة وليس بمحض الإرادة الفردية، لكنني لا اتفق مع هكذا توجه؛ إذ إن الهجرة تتيح مساحة كبيرة من البدائل والاختيار للمهاجر، بينما التهجير لايتيح ذلك، كما إن الهجرة من الممكن أن تُلغى كمشروع على مستوى الفرد، أما التهجير فلا إمكان لرفضه؛ لأنه قسري، وهذا يكفي للتميز الكبير بينهما.

- **التهجير:**

مع التهجير يضاف قيد القسر،على التعريف السابق ذكره للهجرة؛ إذ إن الإرادة تنتفي مع التهجير ويصبح غير متحقق بالفعل بل بالانفعال. كما يستند مفهوم التهجير إلى ركن آخر هو:

معلومية المكان البدئي ومجهولية محط التهجير:

إن معلومية المكانين تحدد معنى الهجرة، لكن معلومية مكان الارتحال بالطبع، وهو مكان الإقامة، إلى مكان مجهول مبدئيًا كمحط للارتحال هو ميزة التهجير علاوة على القسر والعامل العنفي أو الإقصائي فيه.

وعمليات التهجير هي الأخرى تأخذ معنيين كما في الهجرة أي تهجير داخلي وخارجي، وكذلك سنحدد معالم بحثنا بالتهجير إلى الخارج، تماشيًا مع هدف البحث. إذ قد تتنوع معانيه وأسبابه في كل حال من الأحوال التي تستجلب العنف لإقصاء الآخر مكانيًا؛ بسبب انتماءاته الثقافية أو الدينية أو الاجتماعية أو العرقية.

وفي التهجير يتبين دور الفاعل الخارجي كفعل موجه للإقصاء والترحيل، ومن ذلك يتأتى معنى النفي، والنفي يحمل ويشرك بالصفة القسرية نحو المهجر أو المنفي، لتركه هويته المكانية. والمنفيون هم: "أناس أرغموا على العيش خارج أوطانهم، لأسباب إما سياسية أو أيديولوجيا،... ولا يمكنهم أن يعودوا مالم تنتفي المسببات الأساسية التي قادتهم إلى المنفى"(٤)، هذا هو الاغتراب القسري. والفرق يكاد لا يبين بين التهجير والنفي، إلا إن التهجير يحمل معنى أعم من النفي، ففي الغالب السلطة هي من تنفي وأقصد السلطة السياسية، بينما التهجير قد تمارسه أي قوة عنفية وإن لم تكن الدولة.

٢-الهجرة، مسار تحليلي:

من المؤكد أن للهجرة تاريخ ضارب في القِدم، مع أولى الارتحالات المكانية شرقيا لأسباب اقتصادية- زراعية، إلى أسباب دينية كما يرد ذكره في الكتب المقدسة أو النصوص التاريخية القديمة، إلا أن مفهوم الهجرة المعاصر والذي نحدده بمعنى الخروج من البلد الأم إلى بلد استضافي أو مقر بديل، يجعلنا نستعيد مقاربتنا في ركن المكان لمفهوم الهجرة، والمقصود هنا الوطن، والدولة بالمفهوم الحديث- أي الدولة القومية-؛ لأن كل ما كان يحدث من هجرة سابقة عليها لا تترتب عليه آثار قانونية أو مشكلات هوياتية

بالمعنى المعاصر للمواطنة. وإن كان هنالك نصوص وردت في ذم الهجرة في التراث الفلسفي كما في محاورة الدفاع لأفلاطون[٥] والتي يرد فيها على لسان سقراط رفضه للبديل عن السجن بأنه الهجرة إلى دولة– مدينة أخرى، ويسوغ رفضه للهجرة؛ لأنها تجعله يتخلى عن المواطنة والهوية الأثينية مقابل صفة الأجنبي في المهجر. علاوة على فكرة طاعة القانون والخضوع له وعدم عصيانه. ومن هنا يتبين أثر المواطنة بمعناها المديني وليس الدولة الوطنية– القومية الحديثة. وعليه فليست الهجرة "بالظاهرة الجديدة، غير إنها أخذت بالتسارع المتزايد في العقود الأخيرة لتصبح جزءًا لا يتجزأ من عملية التكامل العالمي، وأصبحت أنماط الهجرة تعبِّر عن التغيرات التي طرأت على العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين دول العالم. وتشير بعض التقديرات إلى أن المهاجرين في مختلف أنحاء المعمورة عام ١٩٩٠ بلغوا نحو ثمانين مليون شخص، يشملون نحو عشرين مليونًا من اللاجئين، ويعتقد أن هذه الأعداد ستتزايد... بل إن بعض علماء الاجتماع يطلقون على أيامنا هذه عصر الهجرة"[٦]، وهنالك إحصاءات تقديرية للأمم المتحدة قدرت عدد المهاجرين والذين لم يولدوا في بلدانهم الأم وساكنين لغيرها بحوالي ١٧٥ مليون ساكن[٧]، غير إن ما يجب أخذه بالحسبان هو أن هنالك صفة أصبحت ملاصقة لمرحلة الهجرة المعاصرة وهي "إن الهجرة قد عدت ظاهرة كونية،... وكوني يعني إن عدد البلدان المتأثرة بالهجرة قد ازداد منذ منتصف السبعينيات [من القرن المنصرم] وحتى الآن، وإن مناطق تدفق المهاجرين قد ازدادت تنوعًا، وإن المهاجرين يشكلون طيفًا من الفئات الاجتماعية– الاقتصادية أوسع من ذي قبل،... وهنالك عدة أنواع مختلفة من الهجرة. ومن الجلي أن تجارة العبيد المبكرة كانت نوعًا من هجرة قسرية، ويمكن اعتبار النازحين وطالبي اللجوء نوعًا من مهاجرين"[٨]، لذلك تعد قضية الهجرة والغربة من أهم القضايا في الأجندات الدولية، ولاسيما منها المعنية بالتحركات البشرية الدولية، عبر الحدود السياسية الدولية، ذلك لتصاعد حدة الهجرة وتزايد آثارها والصعوبات التي تنجم عن تعقد أنماطها وسماتها وفئاتها[٩]، ومما سبق يلزم علينا أن نبين أهم ميزات الهجرة

المعاصرة والتي منها:

١- إنها متزايدة ومتسارعة.

٢- إنها متنوعة ولا تقتصر على طيف واحد من المهاجرين أو بلد واحد.

٣- إنها أصبحت ظاهرة عالمية وكونية.

٤- أدخلت النسوية أو التأنيث: إذ دخلت مسألة اللاجئات الإناث في معادلة الهجرة العالمية، وبدواعي الاضطهاد وعدم حصول المرأة على حقوقها كاملة في بلدانهن.(١٠)

فالهجرة اليوم ليست مطلبا فرديًا، لأن هنالك ملايين اللاجئين وبعضهم لجوء جماعي، وليست بطيئة لما توفره وسائط النقل والاتصال من تسهيل لمهمة الهجرة علاوة على سماسرة الهجرة في العالم، كما إنها عالمية لما ذكرناه آنفًا من أنها لاتقتصر اليوم على بلد دون غيره ولاسيما بلدان الجنوب. كما إن الهجرة النسوية أخذت تتسع وتتحول من نموذج التهجير والبيع للجواري والمتاجرة بهن إلى مطالب هجروية طوعية الدافع بسبب قسرية السلطات الدينية والاجتماعية والسياسية، بل والثقافية كذلك.

أنواع الهجرة:

هنالك أنواع عدة للهجرة يمكننا تصنيفها بغية الوقوع على المعاني المحددة قيد البحث، وهي(١١):

١- **الأنموذج التقليدي للهجرة:** وهو النموذج الذي يسم أغلب الدول التي تشكلت تاريخيًا بعامل الهجرة، كما في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا، ففي هذه البلدان هنالك نوع من القبول للمهاجرين وإن حدد مؤخرا بنظام الكوتة- الحصص، إلا إنه مرحب به عمومًا.

٢- **الأنموذج الكولينيالي- الاستعماري للهجرة:** وهو الأنموذج السائد في البلدان الاستعمارية ولاسيما بريطانيا وفرنسا، فهي تمنح حق الهجر إليها للبلدان التي

كانت خاضعة لسيطرتها إبان فترة استعمارها لها.

٣- **أنموذج هجرة العمال الضيوف:** وهي الهجرة التي اتسمت بصفة الحاجة إلى أيدي عاملة، أي تلبية لاحتياجات سوق العمل لهم، ولكنها تقوم على أساس الوقتية والضيافة أي إنها تحدد زمنيًّا فترة الهجرة للعمال، كما في ألمانيا وسويسرا وبلجيكا، بالرغم من تواجد النماذج الأخرى من الهجرة فيها.

٤- **أنموذج الهجرة غير المشروعة:** وهي نوع من الهجرة التي توصف بأنها غير قانونية وغالبًا ما تكون سرية وبعيدة عن أعين السلطات في البلد المهاجر منه أو له، مثل هجرة الكثير من المكسيكيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

والهجرة غير المشروعة هي اليوم أكثر أصناف الهجرة ضغطًا وقبولًا من جانب المهاجر بسبب الضغوط على الأصوليات القانونية المانعة، فلابد من تأكيد حقيقة "إن الهجرة غير الشرعية التي تفاقمت بشكل متزايد وملحوظ منذ عقدين من الزمن، هي من إرهاصات الواقع الاجتماعي والاقتصادي للرأسمالية العالمية، والفجوة بين عالم الغرب المتقدم، وعالم (الشرق) النامي والتي تتجسد في قوى العولمة المهيمنة على الاقتصاد العالمي. فالعولمة تعكس واحدة من أشد تعقيدات الحياة العصرية من التكنولوجيا، والأسواق الحرة، وتدوير رأس المال، والمنافسة في الأسواق ومعقدة ومكلفة، وانتقلت إرهاصات العولمة إلى عالم الجنوب الفقير أساسًا أو متوسط الدخل في أحسن الأحوال، فحملت العولمة الانهيار للأسوار الوطنية من الاقتصاديات أمام تيار الرأسمالية وقوى السوق، مع تنوع الخدمات والسلع، وارتفاع تكاليف المعيشة والحياة، وزيادة السكان في العالم، وضعف دور الدولة في توفير الضمان لحياة الفرد....، من هذا، فإن ازدياد حُمى العولمة أفرزت أجيالًا من الشباب الصاعدين الذين لم يجدوا في بلاهم هذه الأمنيات، فقرروا اللجوء والهجرة بشكل غير شرعي إلى عالم الشمال حيث العمل، والرزق الوافر، وحرية التنقل، والحصول على المال، وبناء الأسرة ، وازدادت هذه الحالة يومًا بعد آخر في أعداد المهاجرين غير الشرعيين في البلاد الأوروبية "[١٢]

وقد حاولت الدول المستقطبة للمهاجرين أن تسيطر على المهاجر النخبة وتدعم أصل هجرته واستقباله، وذلك يحقق لديها غايتين هما: فرض نقل النموذج الغربي الفكري من جهة، والإفادة ككفاءة داخل البلد المستضيف من الجهة الثانية، وبنظرة متفحصة على النخب الفاعلة في الدول والحكومات في العالم الثالث، ستظهر إشارة إلى غلبة الثقافة الأنجلوسكسونية عليهم، الأمر الذي ينسحب على عدد لا يحصى من النخب الحاكمة في الدول العربية والأفريقية، بل إن كثيرًا منهم يحملون جوازات سفر بريطانية وأميركية وكندية. فيما تحضر الفرنسية على نحو أوضح في الحالة الأفريقية.[١٣] وبقدر ما يمكن أن تمثله عمليات الدمج أو المثاقفة أو التدجين للمهاجرين، ولاسيما النخب، نجد أن هنالك نوعًا من الحنين الذي يحكم الكثير من السلوكيات والممارسات للمغترب حتى في هجرته، فنجد المهاجر من النخب تارة يسلك بإتجاه محاولة الانتقام من سبب غربته، وأخرى في محاولته الإبداع لإثبات الذات لبدله الأم، وأخيرة في سبيل انتهاز الفرصة لترويح نفسه وتحقيق طموحاته بلا هاجس الوطن.

الهروب من الوطن إلى وطن... ومسوغاته:

يتحدد قرار الإنسان في الهجرة من عدمها، من خلال الظروف الواقعية والتنفيذية، وكذلك نوع هجرته، وطبيعة الفرد النفسية والثقافية والاجتماعية، وقوة مداركه وتعليمه،[١٤] لذلك يمكنني حصر دواعي الهجرة في نوع تصنيفها، فدواعي الهجرة هي ملازمة لتصنيف المهاجرين[١٥]:

١- **هجرة بسبب الفقر:** وهي هجرة الأشخاص إلى بلدن غير بلدانهم بحثًا عن الثروة أو على الأقل في البحث عن رغد العيش.

٢- **هجرة النخب:** مثل هجرة البحّاثة والطلاب والأساتذة وعموم الأكاديمين والمثقفين والخبراء، أو الذين يعملون في مجالات الاستثمار، وكذلك الذين يحملون مؤهلات علمية وباحثين عن وظائف تلائمهم.

٣- **هجرة اللاجئين(*)السياسيين:** وهم الأشخاص الذين يهربون من الاضطهاد السياسي في بلدانهم.

وأرى أنه يمكن أن تجتمع الدواعي الثلاثة في المهاجر على شكل وجود كفاءة معرفية وفقر مادي، وكذلك هو حال الاضطهاد السياسي، وهذا النوع هو الذي الأغلب أن تحقق معنى النخبة بداية.

وفي ما يخص موضوع البحث، فإن النخب والمثقفين (أساتذة وأدباء ومفكرين عمومًا) سيكون الأثر لهم وعليهم الأقوى من نوعه، فهم في اغتراب متواصل حتى في المهجر، وذلك ما لمسته من كتابات ومحاورات وسماع الكثير منهم.

ففي تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣، يرد وصف واضح لأثر الكفاءات في تعطيل التنمية في البلدان المهاجر منها كما تدعم رأينا في القول بأن النخب تبحث عن الرفاهية المعيشية والراحة وتحقيق الذات، فهجرة أو نزيف "الكفاءات العربية عالية التأهيل تسهم إلى حد كبير في تقويض عملية التنمية الاقتصادية في المنطقة، والسبب الرئيس لهجرة هذه الكفاءات هو غياب البيئة المجتمعية والإمكانات التي يمكن أن تؤدي إلى قيام الكفاءات بدورها المنشود في منظومة المعرفة، وفي نهضة بلادها، مع تحقق الذات وتوفر أسباب العيش الكريم [في المهجر]" [١٦]، كل ذلك ساهم في تبني اختيار الهجرة.

تحولات الهجرة والمشاكل المترتبة عليها

الهجرة بنوعها الأول	الهجرة بتحولها الثاني	الهجرة بتحولها الثالث
مشاكل اقتصادية	مشاكل سياسية	مشاكل ثقافية
العمل والبطالة والتنافس مع أيدي البلد العاملة	الجنسية والمواطنة والحقوق السياسية	مشاكل اللامساواة والاختلاف والمعرفة

والسؤال هنا ما موقف الدول الملجأ أو الدول المهاجر إليها من قضية الهجرة،

نظرًا للمشاكل التي تثيرها؟

الإجابة لن تكون واحدة– وهذا طبيعي– إذن ما الإجابات التي يمكن توفرها في مقابل هذا السؤال؟ أعتقد إننا يمكن إن نحصرها في الخيارات الآتية[١٧]:

الخيار الأول: أن لا تستقبل المهاجرين إطلاقًا وترفض دخول أي شخص مهاجر لأراضيها.

الخيار الثاني: هو استقبالهم لغرض توفير الأيدي العاملة وتقديم المزايا الاجتماعية لهم.

الخيار الثالث: هو السماح للمهاجرين بالإقامة لفترة محددة مع منحهم الحقوق والخدمات الممنوحة للمواطنين الآخرين.

الخيار الرابع: هو منح المواطنة لأطفال المهاجرين المولودين داخل الدولة المهاجر إليها، دون المهاجرين أنفسهم.

الخيار الخامس: هو قبول المهاجرين ومنحهم حقوق المواطنة مع عوائلهم وأطفالهم.

وكل الخيارات السابقة قد طبقت بتفاوت من جانب الدول المهاجر لها، لكن هذه الخيارات ستبقى محل نقاش ولاسيما في موضوعة السياسات والمبادئ التي يجب من خلالها تنظيم موضوع الهجرة.

المرحليات الجوانية للهجرة:

أريد أن أشير ضمن هذا التحليل المفاهيمي والسياق التاريخي لمعنى الهجرة، إلى مرحلة مرافقة أو ملازمة للمهاجر، مقطوعة عن مرحلية النماذج أو المشاكل– الآنفة الذكر– وهي توضح الآثار الجوانية للإنسان المهاجر، فقد أثار موضوع الهجرة في السنوات القليلة الماضية، العاملين في حقول الخدمات الاجتماعية والنفسية، وذلك نظرًا لازدياد أعداد المهاجرين الذين يعانون من اضطرابات نفسية أو مشاكل اندماج،[١٨] وهذه المرحليات هي:

أولًا– ما قبل الهجرة: وهي المرحلة السابقة لعملية الهجرة، والتي غالبا ما تستحضر حالات التسويغ للهجرة، والوداع، والتجهيز النفسي لترك الوطن، وفي هذه المرحلة نجد المهاجر– الراغب في الهجرة، يستدعي كثير من جماليات المكان والزمان ليصنع نوعًا من الصورة المحسنة عن الوطن، وليحتفظ فيها علها تنفعه عند العودة.

ثانيًا– الرحيل: في مرحلة الرحيل يعيش المهاجر لحظات حرجة نفسيًا وعقليًا، كما تتملكه هواجس الخوف من المجهول الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وسبل النقل وإتاحتها والتسهيلات أو الصعوبات التي يمكن أن تعتريه.

ثالثًا– الاستقبال: في مرحلة الاستقبال تنتقل الذات من جوانيتها نحو الآخر، محاولة كشف صورته بمنظار الآخر لا منظار نفسه، وهنا لحظات فاصلة في طبيعة الهجرة وزمنيتها بين الوقتية والدائمة، فحسن الاستقبال والمعاملة من البلد المهاجر له، تتيح نوعًا من الراحة المبدئية للمهاجر تجعله يستطيع إعادة ترتيب الكثير من أوراق سفره من هوية ووطن وغربة و حنين وذكرى وصورة.

رابعًا– الصدمة أو الأزمة: في حال كان البلد البديل أسوأ حالًا أو لم يوفر ما كان يبغيه المهاجر، تبدأ نوع من الصدمة داخل الشخص المهاجر، قد تتحول إلى أزمة ترافقه من الشعور بعدم وجود البديل، وان تملكته الأزمة فهي تساهم في انهياره البطئ أو السريع حسب الصدمة وأثرها، ومن ثم العجز وعدم إمكانية مواصلة حتى حياته في بلده الأم.

خامسًا– بداية الحياة الجديدة: في حال عكس ماسبق، أتيحت فرصة لتنظيم اضطرابات الهجرة و لا نظام الرحيل، فالمهاجر سيشعر ببداية نوع من وضع برنامج وأسس لحياته الجديدة التي سيسعى لدفعها إلى أكمل المستويات.

سادسًا– الإبداع: في هذه اللحظة، أود أن أقحم النخبة المثقفة؛ لأنها المعنية الأهم بالجانب الإبداعي، فتراها تحاول أن تستفيد من البيئة الجديدة لتنعم بنوع من

الظروف المهيأة للانجاز المعرفي والإبداع الثقافي والعلمي ومن هنا ندخل في موضوعنا الآخر وهو الإبداع وإمكانية علاقته بالهجرة كدافع إيجابي.

٣-الإبداع، والوجود في المهجر:

إذا كانت الهجرة قصة، فهي "قصة التحدي للبحث عن حياة أفضل، والصراع من أجل تحقيق نوعية من الحياة يشعر فيها المرء بكرامته كإنسان، له حقوق على المجتمع الذي يعيش فيه"[١٩]. هذه هي المعادلة بيئة كرامة، تنتج حياة أفضل، لا كرامة ولا حقوق: لا حياة أفضل.

لذلك تشكل الهجرة مسارًا للبحث عن معنى للحياة الخاصة، والسعي من أجل خلق البيئة مرحلة أولى، ومن ثم البحث عن الذات (الانوجاد). إن البحث عن الذات في بلد لا يعرفك لن يقبلك بما يقدمه غيرك من المواطنين وأنت أجنبي أو مهاجر، لابد أن تتميز، لا بد أن تبدع، لا بد أن تكون أفضل، هذه الهواجس التي سكنت العقل المهاجر حتى بات لا يرحم حاله ووقته إلا وهذا الهم مسيطر عليه، لكن قد ينزلق من قبضة هذه الهواجس من استجاب للصدمة أو رضا بأدنى مستويات حقوقه، دونما استمراره في الطموح الذي هاجر من أجله، ولعلي لا أجد مثالا يمكن أن يستمر طويلا في ملاحقة هدفه إلا مع النخب والكفاءات- الثقافية، فهي لاتنفك عن الركض في سبيل تحقيق الذات والانجاز والإبداع.

الإبداع هو فرصة المهاجر لدخول الحياة الجديدة بقوة، فنجد الإبداع هدفا للعاملين والنخب والسياسيين، أن الرحيل عن الوطن يحمل في طياته معنى تسابقي- تنافسي.

والإبداع هو مصدر الميزة التنافسية، وهو الذي عليه أن يقود التغيير الاجتماعي والاقتصادي، ولاسيما في عصر المعلومات التي أتاحت كثيرًا من الإمكانات لإنجاز الأعمال وتميزها. [٢٠]

تلازم فكرة الإبداع جانبين آخرين هما: الفرادة والتميّز، فالفرد في ذاته يشعر بحاجته للإبداع على مختلف الصعد، في الهجرة أو الوطن، والتميّز هو ماهية الإبداع فما قيمة الأعمال المستنسخة أو المكررة، إنه لا يعطي معنى للإبداع ولا يقيم وزنًا تمييزًا للقائم به.

هكذا نحن نجد أنفسنا أمام حاجة ملحة للمغترب والمهاجر هي: كيف له أن يحقق ذاته في عالم سريع حد العجز من اللحاق به؟

بالتأكيد إن هنالك لحظات حرجة تواجه مسار العمل الإبداعي، وهذه اللحظات قد تدفع بإتجاه الإيجاب أو السلب، التميز أو التقليد، بين الركود أو الفاعلية، ومن أهم خصائص هذه اللحظات هي[٢١]:

١- **التغيرات المعرفية:** ومن هذه التغيرات هي مسألة النمو المعرفي، وظهور فكرة أو معرفة جديدة، فكلما ازداد النمو المعرفي كلما ازداد احتمال النجاح في تحقيق الفكرة وتنفيذها، وقد يكون العكس السلبي متمثلا بالركود المعرفي وندرة ظهور الأفكار الجديدة.

٢- **التغيرات المرتبطة بالدافع:** الدافع يأخذ أبعادًا خارجية وداخلية للفرد، لذلك تحصل عمليات جذب واستبعاد على قدر الاهتمام أو عدمه في المشكلة والعلم لدى المبدع.

من هاتين الخصيصتين يتبين: أن المهاجر سيقع على واقع جديد يدفع به نحو تغير معرفي تحمله مكنونة الثقافة المغايرة والهجرة بحد ذاتها، كما ستتغير آليات الدفع باتجاه العمل والإنجاز لدى المهاجر.

يحاول المغتربون في المنفى أن يكونوا أفضل حالا ذلك هاجس سكن روحية كل المهاجرين أو أغلبهم، ومع النموذج الثقافي أو النخبوي نجد الحاجة تلح أكثر، ولا مندوحة من أن يكون الإبداع أداة الخلاص من جانب والتحقيق لذاتهم من جانب

ثاني، ومواكبة التغيير المكاني والهوياتي والتقني والبيئي الاجتماعي بصفته جانب آخر.

وبما أن المبدع ذو تأثر بالبيئة الخارجية، بطبيعة الحال، فإنه لابد من أن ينمو "في إطار اجتماعي يشع عليه باستمرار بجوانب من القيم التي يكون من شانها أن تفتح الفرص أمام المبدع في اختبار الجوانب المختلفة من المجتمع، لكي يختار منها ما يرضي احتياجاته العقلية والتعبيرية. أما المجتمع الذي تشيع فيه أشكال من القيم التي تقيد فرص الحرية والاختيار، فهو مجتمع يقيد– دون شك– من فرص نمو المبدعين وانطلاقهم"(٢٢)

وتتوزع القدرات الإبداعية– على وجه العموم– على ثلاثة مفاصل هي:

١– "**مظهر استقبالي:** استقبال المنبهات المحيطة التي يتلقاها الفرد من حواسه وخبراته. وهنا نجد القدرة على الحساسية للمشكلات التي تتمثل في أن الموقف يتضمن عددًا من المشكلات تتطلب حلًا.

٢– **مظهر إنتاجي:** يتجلى في النتاجات إبداعية لها خصائص معينة.

٣– **مظهر تقويمي:** ويتمثل في : القدرة على التقويم الذي هو عبارة عن وعي باتفاق شيء معين أو موقف أو نتيجة أو إنتاج إبداعي معين مع تيار أو محك الملائمة أو الجودة... والقدرة على التقويم تفترض أن النشاط الإبداعي المبتكر تم فعلًا، ومن ثم يتجه إليه الشخص المبدع فيعيد النظر فيه، سواء كان هو منتجه أو أنتجه شخص آخر"(٢٣).

ها نحن أمام مظاهر وقدرات تتعلق بالمبدع، وفي تفحصها على شخصية على المغترب أو المهاجر النخبوي، نجد أنه (وللدواعي التي آنف ذكرها، من مسوغات التكيف واللحاق وتحقيق الذات) يعمل على الإفادة من المنبهات المكانية الجديدة التي سينظر لها حتما بعين وعي التباين، ليفهمها بوصفها فرصة قابلة للتطوير والتميز؛ كما سيعمل نحو

منتج إبداعي كمرحلة ثانية من تمظهرات الوعي الإبداعي ليعمل على إنتاج كم وكيف قابل لتوضيح موقفه من المنبهات الاستقبالية، وفي مرحلة لاحقة سيحاول أن يراجع ما قدمه أو قدمه الآخرون بعين ناقدة وتقويمية، تجعل رأيه إبداعي في التأثر والإنتاج والتقييم. هكذا وجد المثقف المغترب مجاله مفتوحا أمام فرص قل نظيرها في الوطن، لذلك يمكن أن نتحقق من فرضية بحثنا الضمنية في أن هنالك تلازمًا طرديًّا بين المهجر والإبداع للمثقف، إلا ما ندر. هذه هي فاعليات الفلسفة المرافقة لمفصل الإبداع، فالفلسفة تحضر لتصبح أداة المهاجر في اتخاذه موقف وإنتاجه ومواكبته. بناءً على ماتقدم يصبح المهاجر المحروم "والمحاط بفقدان وخسارة أداوت محيطه الموثوق بها، يعاني من تناقص في مقدراته الإبداعية؛ وعدم المقدرة على مقاومة الخسارة وتجاوز الخضوع، واستعادة كفاءاته ومهاراته"(٢٤).

٤-الغربة والحنين:

الغربة: هي عدم الشعور بالانتماء المكاني، ومنها يشتق معنى الاغتراب بوصفه لا انتماء شخصيًّا ينعكس على البيئة الاجتماعية.

ويحتمل مفهوم الغربة كل من معاني الدهشة والاستثناء والتجدد، فهي تحمل بعدين أولهما: داخلي، في الغربة عن أحوال الذات، وثانيهما: الخارجي، الذي يتعلق بالغربة عن الآخر. (٢٥)

لذلك، فإن هذا الشعور يكون من الطبيعي أن يلاصق حال الهجرة منذ اليوم الذي يفارق فيه أرض وطنه، وإن كان البعض يشعرون بالاغتراب داخل أوطانهم.

هذا هو الحال: شعور بجديدة متوقع ولا متوقع، شعور بضياع وانوجاد، شعور بالخلاص والتكبيل، شعور بالحرية والانقياد، تلك جدليات العقل المهاجر.

الدهشة من الواقع الجديد، والوقوف أمامه بحال من الانذهال والخوف والترقب وفحص للإمكانيات أو القدرات، والاستثناء يحضر ليصبغ وضع المهاجر بأنه ليس إنسانًا

مواطنا بل مهاجر، إنه ليس قارًا إنه منتقلًا، إنه لا يعرف الحياة الجديدة فهو ليس ابن هذه البيئة، وينعكس ذلك على نفسية المهاجر، إلى الحد الذي يجعل من نفسه مراقبةً لنفسه.

وقد تستحوذ هموم الغربة على المهاجر وتدفعه باتجاه الانكفاء والانطواء، لفترة معينة، كشيء طبيعي وصحي، لكنه قد يتحول إلى مرضي إن طال عن حد إمكان الاندماج والتأقلم، وتعد مشكلة الهوية الشخصية للمهاجر الحافز الأول في الدمج أو الغربة، في القبول أو الامتعاض.

يمكنني أن أقسم جدل الغربة والهجرة إلى قسمين هما:

١- **الهجرة من الغربة:** وهذا الصنف يعني أن يهاجر الشخص هروبًا وخلاصًا من غربة يعانيها على المستوى العام لمعنى الغربة (أي الاغتراب)، ومع هذا الصنف نجد الغريب وطنيًّا يجد ملاذ الحرية متعلقا بالهجرة.
٢- **الهجرة إلى الغربة:** وهذا الصنف يصف أكثر حالات التهجير والنفي؛ إذ إن الرحيل عن الوطن يعد بحد ذاته غربة غير محتملة، وإن كان الدار الجديد أفضل حالًا.

عن الحنين وأثره:

سأحاول ربط الغربة بموضوع الحنين؛ لأن الحنين في كثير من الأحيان هو الملجأ للخلاص نفسيًّا من الغربة، فاستحضار الصور التذكارية، والحوادث المكانية الوطنية، والمواقف الشخصية لواقعه قبل الهجرة (كلها تحضر لتطفو على سطح تفكير المهاجر) قد تؤدي فيما بعد إلى هيمنة هواجس ومشاعر الحنين على المهاجر(أو اللاجئ).

وعن الحنين يبقى الموضوع منحصرًا بالموقف، والذي يشكل أساسًا فلسفيًّا؛ لأن الفلسفة بأقل العبارات اختزالا هي: موقفًا إنسانيًّا، انه الموقف من حاله الخاص، أهو غريب؟ ما الداعي للحنين، ما دام انه قد هاجر؟ لذلك قد تشكل الإجابات نوعًا من رد الفعل المؤقت واللامنضبط إلا بعد تحقق معالم الحياة الجديدة.

في لحظة مابعد الحياة الجديدة، والتي تعد لحظة حرجة وصعبة للغاية على ذهنية المهاجر، ستظهر هواجس الحنين وتستحوذ عليه. هذه الهواجس ستجعل منه يحول الحنين من بديلا نفسيًّا جوانيا، إلى الرغبة في العودة في آخر الحالات تطورًا للغربة.

لذلك نقول إن الحنين يتعلق بمديات الغربة، وهما يتناسبان طرديًّا أيضًا، فكلما ازدادت الغربة أحس المهاجر بالحنين.

يقول كامل شياع المفكر العراقي– المغترب وشهيد الوطن–: "لم أقصد أن أكون مغامرًا حين مضيت في رحلة العودة التي لم أتخيلها منذ البداية نزهة في عالم الأحلام، ولم يأخذني إليها حماس رومانتيكي؛ لقد شعرت فقط أنني مدعو لرحلة نحو المجهول، وفي ذلك يكمن سر انجذابي لها للعودة من المنفى، في حالتي، سبب عاطفي أكيد؛ إذ وجدت نفسي في علاقة لا أقوى على استبدالها أو تعويضها. إنها العلاقة مع الوطن كمجموعة من البشر، والتقاليد، الأمكنة.. كفضاء من ضوء وهواء، من فوضى وخراب وألم"[٢٦]، مع هذا النص نشعر أن مراد المغترب في العودة يتلازم مع الخوف من المجهول، فالحنين إلى الوطن لايعني أن المهاجر سيجد الوطن بأهله ووضعه كما كان، فالأشخاص الذي يقررون العودة "لا يدركون بوضوح أن العودة تعني هجرة مجددة، فالمهاجر الذي يطأ أرض وطنه، يأمل أن يحضى بكل ماكان يفتقده ويتوق إليه في الغربة، حتى ولو كان يدرك استحالة ذلك، لكنه يظل متأملًا في أن يجد كل الأشياء كما تركها، وكل الذي عرفهم وكأنهم– كما في حكاية الأميرة النائمة– يغطون في سبات طويل، بانتظار الأمير ليوقظهم"[٢٧]، هذه فنطازيا الحنين والعودة على أساس الحنين.

وفي نصوص المذكرات للمغتربين نجدهم يصفون حال العودة لديهم بأنه ليس "نكوصًا نحو الماضي، استبدال نمط حياة "متخلف" بآخر متطور، تفضيل عالم عنيف حاد الهمجية على عالم مهذب ومتحضر، وهجر السلامة والأمان لارتياد مكان مجهول في "قلب الظلام"... ظلام التاريخ. إذا كانت هناك عودة بالنسبة لي فهي

مغادرة تجربة استنفدت نفسها تدريجيًّا، كسر شرط حياتي غدًا عاديًّا بغية اكتشاف ما هو غير مألوف أو مضمون. هذه الهجرة المعاكسة لا تفترض مسارات محددة، ولا ترتكز على ثنائيات ثابتة من قبيل الوطن/ المنفى، الداخل/ الخارج، الشرق/ الغرب، الهوية/ الآخر..... وهي كذلك لا تفترض حركة بشوطين واحد للذهاب وآخر للإياب"[٢٨]، هذا النص المذكراتي يدعونا لمعرفة وعي المغترب النخبوي، بكونه لايريد أن يتصوره الآخرون بأنه عائد من اجل الأفضل، وفي الوقت نفسه لايقبل بإتهامه أنه يعود لأرض الماضي المتخلفة، أنه يحبذ وصفه بالمجهولية والغياب للمعنى.

لذلك نجد إن "الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تدفع بعدد كبير من الأفراد إلى الهجرة هي ذاتها تحمل تبدلات ثقافية في المجتمع الذي تنطق منه الهجرة. وبلدان الهجرة في الأغلب هي بلدان في انتقال، في حالة بناء أو إعادة بناء، ولهذا السب، تحديدًا، يشعر المهاجرون،غالبًا، بتباعد ثقافي تنبع منه الخلافات عندما يعودون إلى بلدانهم، سواء أكانت عودتهم تلك مؤقتة أو نهائية. إن التباعد مزدوج: تغيَّر البلد، وهم أنفسهم تغيَّروا. لم يعد المهاجرون يتعرفون على بلدهم، وهم أنفسهم ينظر إليهم مواطنوهم على أنهم مختلفون. ذلك هو سبب صعوبة العودة التي تشابه، دائمًا هجرة جديدة"[٢٩].

هذه هي الصفة التي يراها المغترب، ونؤيدها، إن العودة إلى الوطن بحنين من بعد الغربة هي عودة مشوبة بالمخاطر واللامعرفة، إنها عودة لصنميات الذاكرة، التي يمكن أن تكون قد تحطمت، وفي الحال نفسه هي الأصنام التي أراد هجرها منذ مدة!! هروب من السبب؛ والحنين، ومن ثم العودة له! حال العودة هو حال دهشوي أكثر من الهجرة الأولى.

الحنين المضاد:

مع حال الحياة مابعد الجديدة، حياة العودة، وبعد الاستيقاظ من أحلام الوطن الأفضل، يصبح الإنسان العائد بين اتجاهين: إما العودة إلى المهجر أو البقاء رغم الوضع الأسوأ.

إن البقاء في هذه الحال قد يعتريه نوع من الحنين الذي اسميه بالحنين المضاد، إنه الحنين بإتجاه المهجر، إنه الحنين إلى الأفضل بعد أن عاد ولم يوقظ نيام قصته في الحنين الأول.

هكذا يشكل الحنين المضاد واقعًا لأكثر العائدين، بل إن أغلبهم لم يستطع جزم موقف العودة بعد العودة، فتردد بين واقع البقاء في الوطن وواقع متابعة مشروع هجرته؛ فيعيش في حال الحنين والحنين المضاد، ولا يخفى على الملاحظ الخارجي – علاوة على المهاجر نفسه– صعوبة هذا الموقف.

M.E.R.C ISSN 2536-9504

الخاتمة:

إن الهجرة بحد ذاتها تحمل معنى السؤال، ذلك السؤال الذي يراد منه البحث عن المعنى، البحث عن معنى الذات للمهاجر، عن معنى الحياة، عن معنى المصير، تساؤلات تحكم مسار الهجرة الفلسفي، تأخذه تارة صوب الحنين وأخرى نحو التنقيب عن وسيلة للانوجاد في المهجر–الانوجاد الفعال– وعلى ماتقدم يمكن أن نوجز بعض النتائج التي خرجنا بها في بحثنا ومنها:

١–إن موضوع الهجرة يمكن أن يعالج فلسفيًّا؛ لأنه في مكنونه يحمل تساؤلات فلسفية ومشكلات فلسفية، والمهاجر يمارس فاعليات فلسفية في مسيرته الهجروية.

٢–يؤدي الإبداع دورًا في تحقيق ذات المهاجر، ويراد من الإبداع أن يؤدي النتيجة السابقة علاوة على المقبولية في المهجر، ونوع من رد الصاع لأسباب هجرته من الوطن، وإشعارهم بأنهم قد خسروه.

٣–إن الهجرة ترافق الحنين، الحنين الدائم إلى يوتوبيا وطن، لذلك فإنه بمجرد عودة المهاجر إلى وطنه الذي هاجر منه تجده يحاول البحث وطنه من جديد= يوتوبيا، ولذلك أسميت الحنين للمهجر بالحنين المضاد، بالضد من الحنين إلى الوطن.

٤–الهجرة تارة تأتي بعنوان الهروب من غربة متحققة في الوطن، بالنسبة للمهاجر، لكنها في الوقت نفسه هجرة نحو غربة من نوع آخر في خارج الوطن.

٥–إن العودة من الغربة أو المهجر لايهدف منها العائد (المهاجر الثاني) أن يبحث عن معنى تحقق ذاته أو إجابات لتساؤلاته أو وضوح في ملامح الحل والمعنى، إنها رحلة نحو المجهول، الناس والوطن والزمن، كلها تغيرت، وهو لم يعد ماكان عليه، إذن لاعودة (بمعناها الدقيق) أبدا، إنها هجرة أخرى.

الهوامش

(*) ما يهمنا هنا الهجرة الخارجية. أما الهجرة الداخلية أصبحت ترافق معنى النزوح، والمهاجرون الداخليون هم النازحون، والنازحون يختلفون تمامًا عن المهاجرين واللاجئين. إذن نحن أمام مفاهيم ثلاثة: نازح ومهاجر ولاجيء، تتداخل هذه المفاهيم حد العام والخاص، حد التقابل والتغاير، في العام والخاص علاقة تظهر معنى المهاجر نسبة للاجيء، وفي التقابل التغايري نجد العلاقة بين النازح والمهاجر.

(١) أنطوني غدنز: علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة، ومؤسسة ترجمان، لبنان والإمارات، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٣٢.

(**) **الوطن:** بالمعنى العام: هو منزل الإقامة، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد به الإنسان، أو نشأ فيه،... ويتميز الوطن عن الأمة Nation والدولة State ، بعامل وجداني خاص، هو الارتباط بالأرض وتقديسها. (ينظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج٢، دار ذوي القربى، قم – إيران، ط١، ١٣٨٥ (تاريخ إيراني)، ص٥٨٠) .

(٢) أنطوني غدنز: علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ص٣٣٢.

(٣) عزيزة محمد علي: تيارات الهجرة إلى أوربا، ملامح التركيب الديموغرافي للمغتربين، ورقة مقدمة لندوة المغتربين العرب من شمال أفريقا في المهجر الأوربي، الجامعة العربية،٢٠٠٧، ص٤.

(٤) ليون غرينبرغ و ربيكا غرينبرغ: التحليل النفسي للمهجر والمنفى، ترجمة تحرير السماوي، دار المدى، بيروت ودمشق وبغداد، ط١، ٢٠٠٨، ص١٨٦.

(٥) أفلاطون: محاورة الدفاع ، ترجمة وتقديم عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠١، ط٢، ص ص ١٣٠– ١٣٢ .

(٦) أنطوني غدنز: علم الاجتماع، ص٣٣١.

(٧) عزيزة محمد علي: تيارات الهجرة إلى أوربا، ص١.

(٨) بول هيرست وجراهم طومبسن: ما العولمة؟ الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم، ترجمة فالح عبد الجبار، دراسات عراقية، بيروت– بغداد، ط١، ٢٠٠٩، ص٥١–٥٢.

(٩) عزيزة محمد علي: تيارات الهجرة إلى أوربا، ص١.

(١٠) أنطوني غدنز: علم الاجتماع، ص٣٣٥.

(١١) المرجع السابق: ص٣٣٣–٣٣٤.

(١٢) مفيد الزيدي: هجرة العرب نحو الغرب أزمة إنسان أم أزمة أمة؟ جريدة العرب الأسبوعي، السبت٦–٢–٢٠١٠.

(١٣) ياسر الزعاترة: الهجرة واللجوء إلى الغرب.. حرية أم مصالح؟

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BADC27AA-5C43-4E63-A8A4-B2DECB6D01DC.htm

(١٤) ليون غرينبرغ و ربيكا غرينبرغ: التحليل النفسي للمهجر والمنفى، ص٢٤.

(١٥) جان فرانسوا دورتيه: معجم العلوم الإنسانية، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر وكلمة، لبنان والإمارات، ط١، ٢٠٠٩، ص١٠٩٣-١٠٩٤.

* **اللاجئ:** هو الشخص الذي يخرج إلى خارج الإطار الجغرافي للبلد الذي يحمل جنسيته؛ بسبب الخوف من التعرض للاضطهاد لأسباب قد تتعلق بالعرق أو الدين أو الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة، أو إلى رأي سياسي مخالف للسلطات. (ينظر: محمود خليل جعفر: موقع المهجرين في القانون الدولي، مجلة حوار الفكر، المركز العراقي للبحوث والدراسات المستقبلية، العدد١٠، السنة الخامسة، ٢٠٠٩، ص٤٧.

(١٦) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربي للعام ٢٠٠٣، نقلا عن أنطوني غدنز: علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ص٣٣٧.

(١٧) مايرون وينر: المواطنة والهجرة ، دلالات للديمقراطية الليبرالية، ضمن كتاب السلوك الحضاري والمواطنة، تحرير إدوارد سي بانفيلد، ترجمة عزت نصار، مراجعة أحمد يعقوب، دار النسر للنشر والتوزيع،عمان- الأردن، ط١، ١٩٩٥، ص١٦٦.

(١٨) ليون غرينبرغ و ربيكا غرينبرغ: التحليل النفسي للمهجر والمنفى،ص٢٣.

(١٩) احمد أبو زيد: أغراب في أوطان أجنبية، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العجج٥٨١، ابريل ٢٠٠٧، ص٣١.

(٢٠) جون هارتلي: الصناعات الإبداعية، ضمن كتاب الصناعات الإبداعية، كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟، تحرير جون هارتلي، ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٧، ص ٧-٨.

(٢١) عبد الستار إبراهيم: آفاق جديدة في دراسة الإبداع، وكالة المطبوعات، الكويت ب.ت، ص٦١-٦٢.

(٢٢) عبد الستار إبراهيم: آفاق جديدة في دراسة الإبداع، ص١٩٩.

(٢٣) عبد الحليم محمود السيد: إبداع أو خلق، ضمن الموسوعة الفلسفية العربية، (تحرير: معن زيادة) المجلد الأول، مركز الإنماء القومي، بيروت،ط١، ١٩٨٦، ص١٦.

(٢٤) ليون غرينبرغ و ربيكا غرينبرغ: التحليل النفسي للمهجر والمنفى، ص٤٠.

(٢٥) خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الفلسفية، دار الفكر اللبناني،ط١، ١٩٩٥، ص١٣٢.

(٢٦) كامل شياع: عودة من المنفى،

http://www.iraqi-alamal.org/Doc/kamel/kamel_01.pdf

(٢٧) ليون غرينبرغ و ربيكا غرينبرغ: التحليل النفسي للمهجر والمنفى، ص٢٢٤.

(٢٨) كامل شياع: عودة من المنفى،

http://www.iraqi-alamal.org/Doc/kamel/kamel_01.pdf

(٢٩) دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١٨٨.

Middle East Research Journal

Refereed Scientific Journal (Accredited) Monthly
Issued by Middle East Research Center

Forty-seventh year · Founded in 1974

Vol. 67 September 2021
Issn: 2536-9504
Online Issn :(2735-5233)